الخطاب النقدي المغاربي المعاصر والمرجعيات المستعارة
(تحديات الو اقع و آفاق المستقبل)
ط.د. الجيلالي عمالو. جامعة ابن خلدون تيارت

مقدّمة:

لا يستطيع أحد أن ينكر أنّ الأمة العربية تعيش ـ بدرجة ما ـ اغترابا ثقافيا في العصر الحديث، ولعل أبرز ظهور لهذا الاغتراب يتجلى في الخطاب النقدي العربي الذي انبهر في جانب كبير منه بما أنتجه العقل الغربي، لذلك بقي إلى حد ما دون تبصّر، فلم يحقّق تراكما معرفيا ولا ثقافيا..فالخطاب الثقافي بوجه عام والنقدي منه بوجه خاص ليس كُلا متجانسا عند كل الأمم حتى في القضايا الكبرى و المصيرية ،من أجل ذلك يتحتّم علينا كأمة منتمية إلى ثقافة ذات خصوصية العثور على البديل[1]. إنّ المتتبع لبدايات النقد المغاربي المعاصر يلحظ تعثراته و انزلاقاته، فالتعثر الذي اتسم به في بادئ الأمر كان مرده لسوء فهم النظريات الغربية وعدم التنبه لمرجعياتها الفلسفية والمعرفية، فلقد انساق النقد المغاربي بانبهار وتبعية تامة لتبني المنجز النقدي الغربي، حيث أنّ أغلب الدارسات النقدية المغاربية وظّفت المناهج الغربية دون وعي بالسياق التاريخي والثقافي الذي نشأت فيه، لذلك فإنّ تقبل النقاد المتماهين المطلق للمنجز النقدي الغربي هو في حد ذاته إقرار بتيه النقاد

1 ـ لطفي فكري محمد الجودي، نقد خطاب الحداثة في مرجعيات التنظير العربي للنقد الحديث،(قراءة في تجربة عبد العزيز حمودة) ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2011م، ص 111.

وغياب المنهج الواعي وضياع بوصلة الخطاب النقدي المغاربي والعربي المعاصر. من هنا يمكن طرح الإشكالية من خلال التساؤلات الآتية:

- كيف يمكن تبرير انفتاح الخطاب النقدي المغاربي إلى حد الخضوع و التبعية لسلطة المرجعية الغربية ، و هل كان ذلك الانفتاح استيعابا أم استهلاكا خارج دائرة الوعي ؟

ـ ما العقبات والتحديات التي يواجهها الخطاب النقدي المغاربي المعاصر،وما التحولات التي عرفها مساره؟

ـ إلى أي مدى يمكن الحديث عن مشروع نقدي عربي مغاربي معاصر بنظريته وآلياته المنهجية؟

و تأتي هذه المداخلة من أجل قراءة تحليلية واصفة لتحولات الخطاب النقدي المغاربي المعاصر وما حقّقه خلال مساره وتحولاته عبر مراحله المتعدّدة ،حيث تركّز على البحث في التحديات التي يواجهها هذا الخطاب ، كما تمعن النظر في واقعه ومساراته و أفاقه ،كذلك تسعى إلى الدفع إلى مراجعة نقدية شاملة انطلاقا من زخم الأسئلة الجديدة والمتجدّدة التي يثيرها الراهن النقدي، وكذا الحديث عن البدائل التي يمكن اعتمادها لإعادة تشكيل خارطة النقد المغاربي والعربي المعاصر على العام.

1ـ النقد المغاربي وخطابه:

مدخـل:

النقد بوصفه مجموعة من الأفكار والرؤى والتصوّرات يستند إلى مجموعة من المبادئ والأسس المعرفية ،والخلفيات الفكرية والأيديولوجية التي توجّهه و ترسم مساره، و تتجلى في المنجز النقدي بشتى تمظهراته،أما مصطلح الخطاب يتضمن في بعض معانيه دلالات غير ملفوظة يدركها السامع دون علامة معلنة أو واضحة، والنقد العربي أهم ما يلاحظ عليه أنّه ما زال يبحث عن هويته، وهذا البحث عن الهوية غير معلن في المتن النقدي العربي المعاصر، لكن يمكن ملاحظته و تقفي آثاره، ثم إنّ الخطاب النقدي بوصفه حقلا معرفيا يمثّل مجموعة كبيرة من الممارسات النقدية والأحكام ،والتي تتمظهر بحسب الزمان والمكان وثقافة المجتمع ورؤى النقاد، بات من المستبعد أن يحسم أمره، ويتخلى عـن واقعه الجدلي، لتواشجه مع النظريات الفلسفية في طابعها الحركي، مما يجعل وظيفته عصية و

عسيرة ، على الرغم من توظيفه لأكثر من منظومة مفاهيمية وأداة نقدية ، لذلك باتت الحاجة ضرورية لنقد النقد ليعيد رسم خارطته ويقوّم مساراته . وقد عرفت الساحة النقدية المغاربية نفس الديناميكية باعتبارها جزءا فاعلا في العملية النقدية العربية، أفضت إلى ظهور مجموعة من الدارسين الذين عنوا بمسألة الخطاب النقدي والراهن الثقافي العربي وكيفيات تجديده وتخليصه من دونيته، من خلال تجديد أسئلته مع مراعاة خطورة المثاقفة وأهميتها في ذات الوقت. إنّ الانفتاح اللاّمحدود على الآخر أحدث أزمة في الخطاب النقدي المغاربي المعاصر حيث جعله يعيش حالة من التبعية للفكر الغربي، فالناقد المغاربي استمد المفاهيم النقدية دفعة واحدة دون أن يهضم مراحل وتطورات الحركة النقدية الأجنبية متجاهلا بذلك ظروف نشأة النظريات والمناهج و مصطلحاتها و خصوصيتها، ومن ثم حدوث أزمة في الخطاب عامة و النقدي منه على وجه الخصوص،والمتتبع للساحة النقدية المغاربية يلاحظ ذلك الاضطراب والتداخل بين مختلف النظريات الحداثية الوافدة ، حيث اتسم تداولها بالتناقض في الكثير من الأحيان.

1ـ1 مفهوم الخطاب:

يحمل مصطلح (الخطاب) مفاهيم مختلفة ومتشعّبة، فهو من الناحية اللغوية فإنّه يعني الإجابة عن شيء ما والنطق به أو مراجعة الكلام ، وقد قيل في قوله تعالى " ..وفصل الخطاب" هو الحُكم بالبيّنة أو اليمين ، أو الفصل بين الحق والباطل والتمييز بين الحكم وضده، أو الفقه في القضاء " **1** و من ناحية أخرى فإن أغلب المرادفات الأجنبية الشائعة لهذا المصطلح مأخوذة من أصل لاتيني وهو الاسم **DISCURSUS** المشتق بدوره من الفعل **DISCURRERE** الذي يعني "الجري هنا و هناك" أو "الجري ذهاباً وإياباً" وهو فعل يتضمن معنى التدافع الذي يقترن بالتلفظ العفوي ، وإرسال الكلام والمحادثة الحرة

1 ـ ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم) ، (ت 711ه)، لسان العرب ، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب،ومحمد الصاوي العبيدي ، دار إحياء التراث العربي بيروت،الطبعة الثانية، 1417 هـ ـ 1997م الجزء 4 ، ص 135 والفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) (ت 817ه) القاموس المحيط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1397 هـ ـ 1977 الجزء 1 ،ص 63.

والارتجال" 1. يقوم مفهوم الخطاب في اللغة على التلفّظ أو القول بين طرفين : أحدهما مُخاطِب، والآخر مُخاطَب، وقد يتحاوران في شكل حديث حر ، فيقال حينئذٍ : إنّهما يتخاطبان، فيفهم أحدهما الآخر عن طريق البيّنة و الخطاب الفصيح المبين. أمّا في الاصطلاح فإنّ الخطاب يؤدي معانٍ ودلالات محدّدة : فهو يعني رسالة أو نص يكتبه شخص ما إلى شخص آخر ، شعرا كان أو نثرا، كما يعني "العرض ، والسرد ، والخطبة الطويلة نسبياً غير الخاضعة إلى خطة جامدة، ثم الموعظة والخطبة المنمّقة والمحاضرة ، والمعالجة البحثية ، وأخيراً اللغة من حيث هي أفعال أدائية لفاعلين ، أو ممارسة اجتماعية لذوات تمارس الفعل الاجتماعي وتنفعل به بواسطة اللغة"2 وحينها يصبح الملفوظ اللغوي أو القول جزءاً أساسياً من مفهوم الخطاب، وعليه فإنّ المفهوم الإصطلاحي للخطاب يعني " الميدان العام لمجموع المنطوقات، أو مجموعة متميزة من المنطوقات أو هو ممارسة لها قواعدها تدلُ دلالة وصفٍ على عدد معين من المنطوقات وتشير إليها" 3 ، كما أنه عبارة عن "مجموعة من المنطوقات أو الملفوظات التي تكون بدورها مجموعة من التشكيلات الخطابية المحكومة بقواعد التكوين والتحويل"4

2.1 الخطاب النقدي:

يُعرّف الخطاب النقدي عامة بأنه " كل نص يحلّل عناصر العمل الأدبي وفق معايير أو مقاييس بنيوية أو شكلية أو نفسية أو اجتماعية5." " أما الخطاب النقدي فهو الخطاب الذي يفصح عن نفسه من خلال ما يسجّله الناقد من نص أو مجموعة نصوص أو ممارسة و ضعت لمساءلة موضوع بعينه انطلاقا من قراءة معينة "6 . وقد يكون الخطاب النقدي

1. جابر عصفور : آفاق العصر ، مهرجان القراءة للجميع ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة 1997م، ص64.
2. المرجع نفسه ،ص 64.
3. ميشيل فوكو ، نظام الخطاب وإرادة المعرفة، ترجمة: أحمد السطاني و عبد السلام بن عبد العالي،دار النشر المغربية،الدار البيضاء 1985م،ص 51. 52.
4. الزواوي بغورة ،مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو ، المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة، 2000م، ص94.
5. سمير سعيد،المتقن (معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة)،دار الراتب الجامعية، ص 62.
6. ينظر:خطاب الآخر،(خطاب نقد التأليف الأدبي الحديث نموذجا)،عبد العظيم رهف السلطاني ،دار الأصالة والمعاصرة، ، الطبعة الأولى ،ليبيا 2005 ،ص 26 .

منجزا فرديا أو جماعيا، يمثّل حقبة زمنية بوصفه خلاصة مقوّمات مشتركة تجلّت في خطابات تدور حول موضوع أو جنس نقدي،و يتأثّر الخطاب النقدي عامة بمرجعياته الفكرية المتحكمة، والمناخ الثقافي السائد الذي يطبعه بطابعه ويسمه بسماته.

3.1 النقد المعاصر و أبعاده :

يمثّل النقد نشاطا أدبيا ولغويا يُعنى بتقييم و إصدار الأحكام على النصوص الأدبية، أو هو الخطاب البعدي إذا اعتبرنا أن النص سابق والنقد لاحق ولكن ماذا نعني بالنقد المعاصر؟ وهل يمكن أن يختص بدراسة النصوص التي تنتمي فقط إلى الزمن الراهن؟ أو التي تكون في نفس العصر الذي يعيش فيه الناقد؟ مصطلح" المعاصرة "مرتبط بحركة الزمان وتقسيم العصور التاريخية إلى مراحل ،و النقد المعاصر يطلق على الفترة التي نعيشها والتي تعود " بداياتها إلى أواخر الحرب العالمية الثانية، حيث عرفت الحركة الفكرية والنقدية تطورا كبيرا مسّ أغلب المقاييس النقدية والخصائص العامة للأدب" **1**يرتبط النقد المعاصر بالظروف الحضارية والتاريخية التي أنشأته وهو يعبّر عن خصائص عصره واتجاهاته وآرائه ومعنى كون الناقد معاصرا أي أنّه يعيش في الزمن الراهن. أمام هذه التعريفات الكثيرة التي برزت لتحديد مصطلح المعاصرة يتبين أنّنا أمام إشكالية كبيرة، وخاصة إذا عرفنا أنّ مصطلح المعاصرة يتداخل مع مصطلح آخر وهو الحداثة يجيب عبد السلام المسدي عن التساؤل السابق بقوله: "الحداثة والمعاصرة توأمان يتجاذبان الفكر العلماني الحديث ..ولئن تمثّل الفكر الغربي هذين التوأمين منذ أحقاب حتى صُهِرا في بوتقة تاريخيته، فإنّ المنظور العربي لا يزا ل يتصارع وإياهما**1** ومن النقاد من يرى أن المعاصرة هي رؤية فنية وموقف من الأفكار السائدة التي تعبّر عن روح العصر وهذا المفهوم" أخذت به بعض المدارس النقدية ذات التوجهات الشكلية والجمالية ، إذ ترى أن المعاصرة هي البحث المستمر عن البنيات الجديدة في الثقافة والمجتمع، وبالتالي يجب خلق أنساق جمالية وأدبية لتعبّر عن هذه البنيات الجديدة . **2**

1 . عمار زغموش، النقد العربي المعاصر في الجزائر (قضاياه واتجاهاته)،مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة ،2000،ص 5.

بناء على ما تقدم يصعب تقديم تعريف دقيق للنقد المعاصر لأنّه يرتبط بالتطور الزمني في بنياته المختلفة التي تتداخل معه لتشكّل الممارسة النقدية المعاصرة، ومن ثم فهو يعبّر عن فئة معينة من النقاد في زمان ومكان محدّدين يعكسون ثقافة معينة أو مجموعة ثقافات متباينة. إنّ المفهوم الصحيح للنقد المعاصر هو أنّه ينقد الأعمال القديمة والحديثة على حد سواء وذلك على ضوء المناهج الحديثة، وهذه المناهج إذا لم تربط الماضي بالحاضر ولم تمدّ الجسور بين الثقافات المتباعدة في الزمان، فإنّها تفقد القدرة على التعامل حتى مع النصوص الحديثة **1** وهو أمر طبيعي لأن النقد يختلف من ناقد لآخر ومن عصر إلى آخر وهذا يعني بالضرورة أنّ البنية الحضارية والثقافية لها دور كبير في تحديد طبيعة النقد الأدبي، وبذلك يصبح النقد المعاصر " يحقّق الأهداف التي يصبو إليها وفق الظروف التاريخية المعاصرة ومجموع الأدوات النقدية المبتكرة والمستنبطة من بيئة حضارية وتاريخية معينة ويفترض فيه أن يكون شموليا ومطاطا أي له قابلية للتطبيق على النصوص المختلفة المستويات، كما أن له إمكانيات الإحاطة بكل جوانب النص و جميع أبعاده " **2** .

2 ـ الخطاب النقدي المغاربي المعاصر وحيثياته:

2 ـ 1 الساحة المغاربية و المشهد النقدي المعاصر :

إنّ المتتبع للمشهد النقدي المغاربي يلحظ تطورات عميقة مسّت افتراضاته النظرية، وطرق تحليله للنصوص الأدبية ولكن ذلك شيء طبيعي لأنّه لا مناص للنقد من مسايرة " تطور الحركة النقدية الجديدة وتفاعل مرجعياته مع ثقافة الآخر، وقد حقّق قفزة نوعية في الخلفية المعرفية للتفكير النقدي المغاربي مجال دراسة وتحليل النصوص .وعرف تحولات مهمة، غنية بالروح العلمية والمنهجية التي اكتسبها الناقد العربي من المناهج والنظريات الغربية المعاصرة" 1.من هنا تتحدّد وضعية النقد المغاربي بالنظر إلى خصوصيات حركيته وما يعرفه من تطورات لتحقيق الحداثة.وفي هذا السياق كانت هويته تتشكّل وسط كل العناصر والتحولات، وكذا التأثيرات المفتوحة باستمرار على كل جديد

1 . جميلة حيدة ، النقد الأدبي المعاصر،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة محمد الأول، الطبعة الأولى ، وجدة، 2012 ،ص 5.

يمكّنها من اكتساب الخصوصية والمناعة 1. ومنذ النقلة النوعية التي أحدثها الشكلانيون الروس في القرن العشرين والنقد المغاربي يبحث عن مواكبة كل ما هو جديد ، خاصة مع ظهور المناهج البنيوية وما بعد البنيوية، حيث أصبحت المناهج السياقية بضاعة قديمة فقدت رواجها.

كان الجو الأدبي العام في العالم العربي مهيأ لتلقي بذور هذه الثقافات النقدية الوافدة منذ سبعينات القرن العشرين لتطلع النخبة المثقفة إلى التغيير، والرغبة في العبور نحو ثقافة العصر، بعد أن استغرقنا ثقافة التراث، وأبطأت في التحرك نحو العصرية، بتسارع يمكن اللحاق بالغرب الأوروبي ومحاولة عبور الفجوة التي تفصلنا عنه اجتماعيا وثقافيا وحضاريا "2. وعلى أية حال فقد كانت البداية الحقيقية للاستفادة من المناهج البنيوية وما بعد البنيوية في عقد السبعينيات حيث ظهرت أعمال عديدة لنقاد مغاربيين كدراسة حميد لحميداني: النقد الروائي والإيديولوجيا (من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي) و دراسة نجيب العوفي :درجة الوعي في الكتابة سنة . 1980 وظاهرة الشعر الحر في المغرب لمحمد بنيس . وتنبغي الإشارة إلى أن المناهج البنيوية وما بعدها هي الأكثر تأثيرا في النقد المغاربي لكن ليس أمام الناقد المغاربي والعربي عموما خيارا سوى استيعاب ما هو موجود في الساحة العالمية إذا أراد بناء خطاب نقدي متمكن، ولا يحيد الخطاب النقدي المغاربي المعاصر عن هذا التوجه فقد ارتبط بالنسق العام المحلي والعالمي الموسوم بتحولات طبعت نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وكانت حافزا مهّد للانتقال من ثقافة تقليدية مغلقة على ذاتها في الغالب، إلى ثقافة تسعى إلى التحرّر ومساءلة الذات والتاريخ والحاضر 3 وهو ما أدركه عدد من النقاد المغاربيين وعلى رأسهم الناقد التونسي عبد السلام المسدي الذي دعا إلى المزاوجة بين التراث والحداثة للخروج بمفاهيم جديدة لا هي تمجّد التراث وتقدسه، ولا هي منسلخة عن الغرب. وهو يركز

1 . تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر،مؤتمر النقد الدولي الحادي عشر،كلية الآداب،جامعة اليرموك،عالم الكتب الحديث،الأردن 2008 ص 132.

2 . محمد زغلول سلام ، النقد الأدبي المعاصر، منشأة المعارف،الإسكندرية،د ط ، د ت، الجزء2، ص 81.

3 . تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر، ص 133.

على الحوار المعرفي البناء بين التراث العربي والآخر غير العربي، في مزاوجة تخلو من منطق النقص والاحتواء ومنطق التكبر والاستعلاء، ليضيف إسهامات معتبرة إلى العلم الإنساني العام **1**

أما سعيد يقطين فيرى أن النقد العربي وثيق الصلة بالمناهج الغربية وقد اختصر مسار النقد العربي في ثلاث مراحل هي**1** :المرحلة اللانسونية (الدارسات التاريخية للأدب-(**2**الواقعية)دراسة المضامين وأبعادها الإيديولوجية **3**-البنيوية وما بعدها(التركيز على الأشكال ونظريات التأويل) ،حتى بدأ يظهر الإبدال الثالث في هذا المسار في أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات**2** ظهر الاتجاه الثالث بعد أن سئم النقاد من المناهج التقليدية التي فقدت بريقها وعجزت عن الدخول إلى عالم النص، حيث عمدوا إلى إلغاء مرجعيات النص التاريخية والنفسية، وبرزت مقولة" المحايثة" أو« "الباطنية "أي النص ولا شيء غير النص" **3** . ويمثّل ذلك أعمال بعض النقاد المغاربة أمثال : محمد برادة وحميد الحميداني و سعيد علوش و حسين الواد من تونس "البنية القصصية في رسالة الغفران " وغيرهم. وما يحسب لهذه الحركة النقدية هو أنّها أسهمت إلى حد بعيد في تهيئة الجو العام" لاستقبال المناهج النقدية الجديدة التي أفرزها الانفجار اللساني الكبير(البنيوية و الأسلوبية و السيميائية و التفكيكية) ...والتي يعود عهد النقد العربي بها إلى بداية السبعينيات من القرن العشرين، حيث ظهرت بواكير هذه الحركة في بلاد المغرب العربي خصوصا"**4** . يمكن القول إنّ النقد العربي عموما، والنقد المغاربي على وجه الخصوص قد تأثّر بالمناهج الغربية وانفتح على المشهد الغربي والمفاهيم النقدية الحديثة عن طريق ما يسمى المثاقفة .

---

1 . ينظر : عبد السلام المسدي ، مباحث تأسيسية في اللسانيات، مطبعة كوتيب، تونس،ص 33. 34.

2 . ينظر: سعيد يقطين ، فيصل دراج،آفاق نقد عربي معاصر،دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى،بيروت،2003،ص 26.

3 . المرجع نفسه، ص 26.

4 . يوسف وغليسي،إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد،الدار العربية للعلوم ناشرون ، الطبعة الأولى،لبنان،2008،ص 65.

2ـ 2 تحولات الخطاب النقدي المغاربي المعاصر :

شهد النقد الأدبي المعاصر في المغرب العربي تطورات عديدة و عرف خطابه تحولات مهمة، تبنّت اتجاهات نقدية معاصرة منذ بداية عقد السبعينيات من القرن العشرين ، حيث تمثّل هذه المرحلة نقطة إنطلاق الوعي النقدي الحديث في المغرب العربي،حيث لم تكن هذه الحقبة وما سبقها من القرن العشرين مرحلة تحوّل للنقد الأدبي في المغرب العربي فحسب، بل اتسعت لتشمل خريطة الأدب العربي برمته، فقد شهدت هذه الخريطة انتقالات متواصلة في الإنتاج النقدي، وفي وضوح الإتجاهات والتيارات النقدية، فالتأليف بدأ يتكثّف وترجمات الأعمال النقدية الغربية إزدادت، وأعداد المتخصّصين والمؤهّلين جامعيًا ارتفعت، ومع هؤلاء بدأ التنظيم والدقة في الطرحين النظري والتطبيقي يتسرب إلى النقد الأدبي العربي الحديث، عن طريق إحتكاكهم بالمناهج الغربية، فقد كان عقد الستينيات" نقطة حاسمة في تاريخ التعرف على النقد الغربي سواء عن طريق التعرف المباشر أو غير المباشر الذي وفّرته الترجمة، أو عن طريق الكتب التي تعرض مذاهب النقد ومصطلحاته"**1** وفي النصف الثاني من العقد الستيني تسربت إلى النقد المغاربي تيارات وفلسفات ومناهج أوروبية عن طريق قنوات مختلفة، كالكتب والصحف والمجلات وبواسطة البعثات العلمية الموفدة إلى الدول الأوروبية خاصة فرنسا وبريطانيا كذلك من خلال المنظمات السياسية والنقابية وجمعيات الشباب والطلبة،فبرز الاهتمام بعدد من الاتجاهات الغربية كالماركسية والوجودية و الظاهراتية والبنيوية، وكان للصحف والكتب و"المجلات العربية الواردة من الشرق دور في تفعيل ونشر هذه الاتجاهات في الساحة المغاربية، لا سيما في الأوساط الأكاديمية والإعلامية **2** . ليصبح الشرق في هذه المرحلة مصدراً من مصادر تغذية الحراك النقدي في دول المغرب العربي عقب المحاضرة الشهيرة

1 ـ سعد البازعي،استقبال الآخر، الغرب في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ، بيروت، 2004 ، ص 123. 124.

2 ـ إدريس الناقاوري،البنيوية التكوينية في النقد المغربي(النظرية والتطبيق) ،مجلة فكر ونقد، العدد 6، السنة الأولى .ص 63.

التي ألقاها "جاك دريدا"في مؤتمر بجامعة "جون هوبكنز" في عام 1966م، والتي عُدّت إيذانا بتقهقر البنيوية و إعلانا لتراجعها من واجهة المشهد النقدي الغربي، والتي دفعت البنيوية إلى خلفية الاهتمام النقدي في تلك الحقبة من تاريخ النقد الغربي. حينها بدأ الشرق وتحديدً النقاد العرب باستقبال ما أزاحه الغربيون إلى الوراء، و إنّه لمن العجيب أن تهاجر البنيوية في السنة التي أُعلن انحسارها في الغرب لتتسيّد المشهد النقدي في الشرق العربي تدريجيًا، وإن كانت تحت مسمى مختلف هو" الهيكلية" لكنّها استقرت في العقود اللاّحقة تحت مسمى" البنيوية"في الدارسات والمقالات النقدية، لتبلغ ذروة العناية بطروحاتها النظرية والتطبيقية في الثمانينيات. ومن العجيب أيضا أنّه في نفس السنة التي توفي فيها "لوسيان غولدمان" 1970م تم التعريف به في المشرق العربي وبمنهجه المسمى البنيوية التكوينية بواسطة كتاب التحليل الاجتماعي للأدب لمؤلّفه سيد ياسين وبعد سنتين تبنى المغرب العربي تطبيق هذا المنهج في الأوساط الجامعية من خلال أطروحة الباحث محمد رشيد ثابت المعنونة بالبنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام المقدمة إلى الجامعة التونسية في العام 1972م وبعدها بثلاث سنوات تقدم الباحث حسين الواد برسالته المعنونة :البنية القصصية في رسالة الغفران1975م للجامعة التونسية كذلك ثم توالت الأطاريح الجامعية في بلدان المغرب العربي مثل :ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقاربة بنيوية تكوينية لمحمد بنيس عام 1978م القصيدة المغربية المعاصرة :بنية الشهادة والإستشهاد لعبد الله راجع، الرواية والأيديولوجيا في المغرب العربي لسعيد علوش 1981 م،الرواية المغربية ورؤية الواقع الإجتماعي دراسة بنيوية تكوينية لحميد لحمداني عام 1985م ،و كانت الجامعة التونسية السباقة في إنضاج الثمار الأ ولى لهذا الإتجاه الجديد، وٍ اذا ما كانت بعض التيارات والاتجاهات الغربية قد تعرّف عليها النقد العربي بعد أُفولها مباشرة وهذا ما يضفي على قضية المثاقفة سمة المفارقة التاريخية في العلاقة التثاقفية التي تربط النقد الأدبي العربي المعاصر والحديث بالنقد الغربي، والتي جعلت التفاوت والتأخّر السمة البارزة في علاقة الأول بالثاني، ذلك أن" ثقافتنا تتأخّر دائمًا في التعرف على الإتجاهات والمذاهب الأجنبية، وكثيرا ما يتم التعرف بعد أن تصبح تلك الكتابات مستنفدة لأغراضها عند من صاغوها، يضاف إلى ذلك أن هذا التعرف قلّما يكون تاماً ودقيقاً، ويلزمه

الكثير ليصبح مبنياً على فكر نقدي قادر على التمثل والاستيعاب"1 هذا مماجاء في مقدّمة أ طروحت محمد برادة " محمد مندور وتنظير النقد العربي" المقدمة للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة باريس عام 1973 م، وهو يعلق على ما سمّاه بالتفاوت المستمر بين النقد العربي المعاصر والنقد الغربي. ولو توقفنا قليلا عند العام1970 م ،لتبدى لنا أ نّه يشكّل محطة مهمة في تاريخ النقد الأدبي العربي الحديث عامة، و المغاربي على وجه الخصوص، فالقارئ العربي قد تعرّف على منهج البنيوية التكوينية في السنة ذاتها التي توفي فيها مؤسّس هذا المنهج "لوسيان غولدمان "في العام 1970م واعتُبر ذلك مفارقة تاريخية تثاقفية.

إنّ اكتشاف "غولدمان" في الأبحاث الجامعية لدى بعض النقاد المغاربة أمثال محمد بنيس،و حميد لحمداني وأحمد اليابوري، عُدّ محاولات تجاوز للشرق ، وكأنّ لحظة اكتشاف البنيوية التكوينية هي لحظة القطيعة مع الشرق بالنسبة للوعي النقدي المغاربي الحديث وقد تكرّست هذه القطيعة أو التجاوز مع منتصف السبعينيات، مع تعاظم الاهتمام بهذا الاتجاه لدى الأوساط الثقافية المغاربية،و يبدو أن البنيوية التكوينية غيرت من الثنائية المزدوجة التي كان يعاني منها الوعي المغاربي الحديث (مغربي -مشرقي، مغربي - غربي)،و استطاعت أن تخلق نوعًا من التحييد المباشر للطرف المشرقي في التأثير، فخفّفت من سطوة حضوره، لتتضخم بالمقابل ثنائية أخرى(مغاربي- غربي) فتحوّل الطرف المغاربي إلى(نص)، وأصبح الطرف الغربي (منهجًا).وحضور المنهج بوصفه هوية غربية وحضور النص بوصفه هوية عربية مغاربية عزّز العلاقة بينهما على حساب العلاقة مع المشرق وبغياب هذه العلاقة أو الإحساس بالقطيعة معها أو تجاوزها،تضخّم الشعور بالمركزية الذاتية للوعي النقدي المغاربي التي تُلمس تجلياتها في كتابات الكثير من المثقفين والنقاد المغاربيين المعاصرين، وهم يخوضون في هاجس البحث عن خصوصية النقد المغاربي ،هناك قطيعة أُخرى مع المشرق العربي عزّزت رغبة الاستقلال والانفصال الفكري عنه، هي لحظة استقبال النقد المغاربي للشكلانية ومنهجها . لا شك أن الخطاب النقدي المغاربي

1. محمد برادة، محمد مندور وتنظير النقد العربي، منشورات دار الآداب، الطبعة الأولى ،بيروت، 1979 ، ص 9.

المعاصر عانى صراعاً حاداً بين هاجسي التبعية والاستلاب من جهة، والرغبة في الاستقلال والبحث عن الخصوصية من جهة أخرى، وكان ذلك بدافع السعي لإعادة اكتشاف الذات والهوية. سعت المجتمعات المغاربية المعاصرة إلى رفض ثقافات" الرفض والتمسكن والمفاخرة بالهوية"، إن لم نقل ثقافات الحقد إزاء الحداثة الغربية التي تعامل بوصفها عدوا ثقافيا وفكريا، كما يؤكد المفكر الجزائري محمد أركون في قراءته لأيديولوجيا ما بعد الاستقلال في بلدان المغرب العربي**1** . ولم تكن النخب الفكرية والثقافية آنذاك بمعزل عن تأثير تلك الإيدلوجيا، لكن هذه الإيدلوجيا تعرضت إلى صدمة كبيرة خلخلت قناعاتها وتوجهاتها لاسيما الأوساط الثقافية والفكرية، كانت هذه الصدمة هي نكسة 1967 والشعور بالإحباط أصبح الظاهرة المهمينة على الوعي النهضوي العربي، منذ هزيمة الجيوش العربية عام1967م **2** وبدأت النخب الثقافية والفكرية تشعر" شعورًا حاداً بسقوط الحلم العربي وعجزها المطلق عن الحركة الفاعلة "**3** هذا الإحباط دفعها إلى التوجّه صوب الغرب، وتبني طروحات الحداثة التي كانت بمثابة مخرج مناسب من"حالة الضياع التي سقط فيها جيل الثورة والأجيال التالية له " **4** فأصبحت كما يرى شكري محمد عياد " عقيدة فنية لدى النخبة المثقفة وشباب الفن في مشرق العالم العربي ومغربه **5** مع نهاية الستينيات وبداية السبعينيات بدأت تتضح" معالم إنحسار البنية التقليدية في مختلف صورها "وبدأ البحث عن" تصورات جديدة للعالم، ومنها النقد المغاربي"، وقد أطلق بعض الباحثين على هذه المرحلة بمرحلة إعادة اكتشاف الذات ، وقد تزامنت هذه المرحلة مع صعود جيل جديد من المثقفين استطاع الدخول إلى الأوساط الجامعية

1. محمد أركون، رهانات المثاقفة بالمغرب الكبير بعد الاستقلال،مقاربة تاريخية انثربولوجية، مجلة فكر ونقد، العدد 19 ، 2000 ،ص 22.

2. ينظر :محمد عابد الجابري،إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الرابعة، بيروت، 2000م ،ص 132 .

3. شكري محمد عياد ،المذاهب الادبية والنقدية عند العرب والغربيين، سلسلة عالم المعرفة، العدد 177 ، الكويت 1993 ، ص 66.

4. المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

5. المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

كأساتذة وطلبة وباحثين، تدفعهم رغبة في تغيير وتحديث البحث الأكاديمي الذي مضى عليه أكثر من عشرين عاما متقولباً في أطر تقليدية ولم تتحقّق هذه الرغبة إلا بتبني مناهج غربية حديثة، كان في مقدمتها البنيوية التي سعى الكثير من نقاد المغرب العربي إلى إقحامها و وضعها في ساحة الجدل المغاربي بشأن الأصالة والمعاصرة، مما حوّلها إلى إيدلوجيا وموقف فكري، وليس منهجاً كما عدّها الرواد الغربيون أمثال " كلود ليفي شتا روس و جون بياجيه " إنها مفارقة تلقٍ ثقافي أيضاً، فقد تم تلقيها هكذا في هذه المرحلة التاريخية للثقافة المغاربية، لأنه نُظر إليها على أنها رؤية نقدية جديدة قادرة عى قراءة الماضي في ضوء الحاضر، ولكونها تستطيع أن تقدّم حلولا مرحلية بوسعها تخليص الثقافة والنقد المغاربيين من أسباب تبعيتهما للثقافة الشرقية العربية والإسلامية فدخلت البنيوية بوصفها آلية لتعزيز استقلالية المؤسّسة النقدية في دول المغرب العربي.

2ـ3 المثاقفة و المناهج النقدية المعاصرة :

التطرق إلى مسألة المثاقفة النقدية يعني الحديث عن الخطاب النقدي المغاربي المعاصر وموقعه ضمن الخطابات الأخرى فقد عمل النقد المغاربي على إثراء تجاربه بمعرفة الجديد في ساحة النقد العالمي عن طريق المثاقفة وبفضل جيل من النقاد الذين انفتحوا على المناهج المعاصرة بواسطة الترجمات والاتصال بالثقافة الغربية بكل ما عجّت به من زخم،حيث يمكن القول بأنّ الفكر النقدي المغاربي ظلّ في عملية مثاقفة مستمرة، وأنّه " يمتح من رصيد ثقافي نقدي عربي وغربي متنوع، ولذلك اختلفت فيه التوجهات والمشارب كما تمايزت المناهج والمقاصد **1** ." لكن يجب الوقوف عند مصطلح المثاقفة قبل الخوض في مسألة تلقي النقاد للاتجاهات الغربية و تبني طروحاتها ومناهجها،"فالمثاقفة أو التثاقف مصطلح سوسيولوجي له معان متداخلة، ويطلق عادة على التفاعلات التي تحدث نتيجة الاتصال بين الثقافات المختلفة كالتأثير والتأثّر والاستيراد والحوار والرفض والتمثّل، وغير ذلك مما يؤدي إلى ظهور عناصر جديدة في طريقة التفكير وأسلوب معالجة القضايا وتحليل

1 . محمد خرماش، إشكالية المناهج في النقد المغربي المعاصر ،مطبعة أنفوبرانت، الطبعة الأولى ، فاس ،2006، الجزء1،ص 119.

الإشكاليات 1." ممّا يؤكد أن التركيبة الثقافية لا يمكن أن تستقر على حال، فالأفكار والتصورات عند هجرتها وانتقالها من ثقافة إلى أخرى يشوبها التغيير والتحوير بما يلائم البيئة الجديدة. كما يدل مصطلح المثاقفة على التداخل بين الحضارات المختلفة عن طريق التمثّل والاستيعاب والاستعارة والتعديل وغير ذلك. إنّ قضية المثاقفة أو التثاقف "قد أثيرت بشدة لتحديد منهج الناقد العربي في التعامل مع النصوص الأدبية، إذ لابد من تلاقح الأفكار، ولابد أن نتأثّر بما يأتينا من الغرب، وعلينا أن نحاول الاستفادة من كل منجزا ت العلم الحديث والمناهج الحديثة" 2. بناء على هذا الطرح فإنّنا نجد أن النقد المغاربي قد ارتبط بمناهج النقد الغربية حتى اصطبغ بصبغتها، ولأنّ النقد المغاربي يمثل صورة أخرى للنقد العربي، فقد أعاد النظر في " ثقافته النقدية وتفاعل مع الحركة النقدية في الغرب وكذا في المشرق العربي ،وعاش فترة مخاض و إعادة صياغة للمرتكزات النظرية، بالتفاعل مع ما يجري في الوطن العربي ومع الإنتاج الفكري العالمي، ولذلك بدأت الثقافة المغاربية تنفتح على مختلف العلوم الحديثة، وتسعى لإيجاد صيغ وأشكال تعبيرية تواكب التطور الفكري" 3. بعبارة أخرى فإنّ الخطاب النقدي المغاربي اتسم بالمغايرة و الدينامية وطمح إلى تأسيس فكر نقدي متحرّر من قيود التقليد في محاورة الأعمال الأدبية عن طريق التكامل المعرفي والتحاور مع الآخر بفضل عدة عوامل من بينها :ظهور ترجمات لمختلف كتب النقد الغربي، ودور الجامعة في الانفتاح على الآخر والاهتمام بالمعارف الحديثة ومحاولة تكييفها مع نقدنا العربي. كما ينبغي التنويه إلى أنّ التكوين الثقافي لنقاد المغرب العربي قد تطعّم بالقديم والحديث، فإذا نظرنا إلى التكوين الجامعي فسنجده تراثيا في معظمه، وقد توجّه الكثيرون نحو الثقافة العربية المشرقية خاصة وحاول بعضهم من خلال نماذجها البارزة أن يتوصّل إلى مفاهيم جديدة كانت بمثابة الرواسب الأساسية في النقد المغاربي الحديث

1. محمد خرماش، إشكالية المناهج في النقد المغربي المعاصر ، ص 119.
2. المرجع نفسه ، ص 127.
3. المرجع نفسه ،ص 120.

1 كما تجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنّ النقد المغاربي في تكونّه وتطورّه يمثل صورة أخرى للنقد العربي ككل لذلك يمكن اعتباره نموذجا للتطور النقدي العربي.

لقد تمكّن النقاد المغاربيون من تحقيق انتقالات أساسية في مجال النقد الأدبي، واحتلوا مكانة مرموقة في المشهد النقدي؛ حيث قدّموا للقارئ العربي معظم المدارس النقدية الحديثة كالبنيوية و السيميائية والتفكيكية ونظريات القراءة والتلقي وغيرها، فصارت دور النشر المشرقية تحتفي بالكتاب المغاربي وسيطر إبداع المغاربة على المجلات الأدبية في المشرق العربي، وأصبحت أسماء الكثير منهم متداولة في أقطاره من أمثال: عبد الفتاح كليطو ومحمد مفتاح، ومحمد برادة وسعيد يقطين، والسعيد بنكراد وحميد الحمداني وغيرهم .. وشكّل حضورهم ثورة في الكتابة والتأليف ساهمت إلى حد كبير في تشكّل المشهد النقدي العربي المعاصر لكن مسألة المثاقفة وما خلّفته من آثار كان سببا في إثارة العديد من التساؤلات من قبيل: هل يمكن الاطمئنان للنظرية النقدية الغربية ؟ و هل المناهج الوافدة من الغرب صالحة فعلا لدراسة الآثار الأدبية العربية ؟ ثم هل يمكن الاعتماد على المنجز الغربي و اعتباره مرجعية لنقدنا المغاربي والعربي المعاصرين؟ لقد أفادت المناهج الغربية النقد العربي حيث أمدّته ببعض الآليات وحقّق بموجبها إنجازات هامة على صعيد الكم والكيف،لكن هذا لا ينفي وجود مطبات وتأثيرات سلبية، فالقصور حتى وإن لم يكن في المعارف المنقولة قد يكون في العقل الناقل الذي يُؤْثر التبعية .وعليه فإنّه يحتاج إلى إعادة نظر في اشتراطاته وعناصره و لربما يؤدي ذلك إلى إعادة النظر في الإنسان العربي نفسه .**2** والسؤال هنا إلى متى سيظل الناقد العربي رهينا للحضارة الغربية، و أسيرا لنظرياتها و طروحاتها الفكرية التي هي في الأساس مفارِقة في بيئتها وشروطها ومرجعياتها ،خصوصا إذا أخذنا في الحسبان خصوصية النص العربي وتقاليده ، لقد حاول النقد المغاربي ومعه العربي أن يواشج بين التراث والحداثة أحيانا، فأنتج ذلك تنوّعا

1 محمد خرماش، إشكالية المناهج في النقد المغربي المعاصر ،ص 119.

2.ينظر : هيام زيد عبد عطية عريعر، الخطاب النقدي العربي المعاصر وعلاقته بمناهج النقد الغربي، تموز للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ،دمشق،2012 ، ص 633.

فكريا " و من منطلق محايد فإنّ النقد العربي غير معزول، ومن العبث محاولة إفراده عن التكيّف مع الخطابات الأخرى، فأية معرفة لا تستطيع الاستمرار في الطّرح إذا ما عزفت عن الأخذ والاتصال بسواها، والمعرفة النقدية مبنية على أنساق فكرية ، لا تستطيع تأسيس نفسها بنفسها " 1 إذا كان القرن العشرين قد عرف تحولات كبرى على مستوى القراءات النقدية المتأثّرة بانجازات الآخر فإنّه لا يمكن الحديث عن قطيعة ابستيمولوجية بالمعنى الشامل لأنه في كل مرة كان يبلغ فيها الانبهار بمنجزات الآخر مداه، كانت تتعالى أصوات تدعو إلى الوقوف في وجه هذا المد الجارف،وتُذكّر بضرورة العودة إلى الأصول والثوابت، و الحفاظ على الهوية والخصوصية الحضارية للأمة.

4.2 الحمولة الإيديولوجية للمناهج النقدية الغربية و مصطلحاتها:

العلاقة بين النظرية والمنهج يمكن فهمها من خلال علاقة المنهج بالمذهب من حيث هو عبارة عن مجموع المبادئ التي تعطي صورة كلية وإجابة تامة عن ماهية الأدب وعلاقاته المتعدّدة التي يؤمن بها المبدع والناقد، من هنا ارتبطت الإيديولوجيا بالمذاهب الغربية، فأثّر ذلك على مناهج النقد قبل القرن العشرين 2 ،والسبب هو أن الفكرة الأدبية تسهل مراجعتها وتغييرها، ولكن رؤية الإنسان للحياة وموقفه منها من الصعب تغييرهما بسهولة، لذلك فالمذهب له بطانة إيديولوجية معقّدة وثابتة، وبالتالي فالناقد الذي يعتنق مذهبا لا يتخلص من تلك العوالق بسهولة، بينما المفكر الذي يقتنع بمنهج محدّد يمكن أن يعدّل فيه أو يضيف إليه بكل مرونة، لأنّ علمية المنهج تخوّل له رفض المسلمات والوثوقيات المطلقة. لقد صار غالبية النقاد العرب مولعين بما حقّقته المناهج الغربية في مجال الدراسات النقدية، وأصابهم بعض العمى عن إدراك أنّ المنهج شأنه شأن باقي الإفرازات الحضارية الأخرى، فهو ثمرةُ مرحلةٍ تاريخيةٍ ذاتِ خصوصيات اجتماعية واقتصادية وحضارية معيّنة، ومن ثمّ فإنّ كل تعامل معه يغيّب هذه الحقيقة تتولّد عنه نتائج لا صلة لها ببيئة الأدب العربي في أبعادها الاجتماعية والنفسية والاقتصادية وحتّى اللغوية. 3 وعليه

1. هيام زيد عبد عطية عريعر، الخطاب النقدي العربي المعاصر وعلاقته بمناهج النقد الغربي ، ص 632.
2. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر،ميريت للطباعة والنشر،الطبعة الأولى،القاهرة،2002، ص 14- 15.
3. عباس الجراري: خطاب المنهج، منشورات السفير، الطبعة الأولى ، 1990، ص 24.

فإنّه من الاستحالة بمكان تطبيق منهج بخصوصيته الاصطلاحية على أي موضوع في كلّ العصور؛ بل يجب الفحص والمراجعة والمقارنة بكل وعي و إدراك. أمّا إذا عدنا إلى الأصول النظرية لبعض المناهج، وبالتالي مصطلحاتها ، أمكننا إدراك أنها وفي الكثير منها تفتقر للبراءة الإيديولوجية، فالبنيوية التكوينية مثلا لا يمكن التفاعل مع إجراءاتها المنهجية، إلا إذا استوعبتها الفلسفة المادية من جهة والفكر الماركسي من جهة ثانية، ذلك أن رائدها "لوسيان غولدمان" قد استفاد، بل تأثّر كثيرا بأستاذه "جورج لوكاتش" والطرح الماركسي، وبالتالي عندما نذهب لمقاربة مثل هذه علينا أن نحتاط من طبيعة هذه المدونة والأهداف التي ترمي إليها، فرؤية العالم، والوعي القائم، والوعي الممكن والتشيؤ، هي مصطلحات لها خصوصيتها عندما ندرجها ضمن نقد "لوسيان غولدمان".

مهما يكن فإنّ المناهج النقدية هي محصّلة إنسانية عامة تشمل كل الآداب الغربية والعربية وثقافتها، إلا أنّ هذا لا يبرّر وجوب التعامل بنظرية أو منهج أو مصطلح نقدي غربي مع مدونة عربية إسلامية بالطريقة التي يشتغل بها على أخرى غربية، ذلك أن المقومات الفكرية والأسس الفلسفية وأشكال التطور التي خضعت لها في الحضارة العربية ليست هي نفسها في نظريتها الغربية، حيث أنّ لكل دائرة خصوصيتها المحلية، وعليه فالمصطلح لا يركّب تركيبا اعتباطيا و لا يأتي من الخارج، وإنما ينبثق من رحم المنابع الأصلية لهذه الثقافة أو تلك، وفضائها المعرفي**1**. فأمام تراكم المناهج النقدية الغربية من جهة، وكثافة المصطلحات من جهة أخرى،صار لزاما أخذ الحيطة والحذر ، ذلك أن المنهج
بآلياته و مصطلحاته يكون بطريقة أو بأخرى مشحونا بحمولة إيديولوجية أكبر من حمولته الفكرية، و توجهاته العلمية الصارمة.

1 . محمود محفوظ، الحضور و المثاقفة، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ،الدار البيضاء، بيروت، 2000، ص 20.

3 ـ الخطاب النقدي المغاربي المعاصر وإشكالية التحيز:

3 ـ 1 التحيّز في اللغة والاصطلاح:

أ ـ لغة:

مصدر الفعل تَحَيَّزَ ، وتدل استعمالات مادته(ح.و.ز أو ح.ي.ز)، في المعاجم اللغوية العربية، القديمة والحديثة على جملة من المعاني، لعل أهمها :الدلالة على الانضمام، والامتلاك، يقول ابن مظور(ت 711 هـ)في لسان العرب اِنْحازَ الْقومُ :تَرَكُوا مَرْكزَهم ومَعْرَكةَ قِتالِهم ومَالُوا إلى مَوْضعٍ آخر، وتَحَوَّزَ عنه وتَحَيَّزَ إذا تَنَحَّى... والْحَوْزُ : الْجَمْعُ، وكلُّ من ضَمَّ شيئًا إلَى نفسِه مِن مالٍ أَو غيرِ ذلك، فقَدْ حازَهُ حوْزا و حِيازَةً ...وكلُّ ناحيةٍ على حِدَة حَيِّز ...والحَوْزَةُ :النَّاحيةُ1 ".أمّا" المعجم الوسيط"، فقد اكتفى باستعادة ما ورد في المعاجم القديمة ولم يضف إلى الكلمة معنى جديدا، عدا تلك الدلالة السياسية الحديثة، وقد جاء فيه:(.حَازَ الشيءَ حِيازَةً :ضَمَّهُ ومَلَكَه) (وانْحَازَ)القَوْمُ تَرَكُوا مركَزَهُم إلَى آخَر(الانْحِيازُ :الانْضِمامُ وسياسةُ عدمِ الانْحِيازِ) (في الاصطلاح الحديث :عَدمُ الانضِمَامِ إلى فريقٍ دونَ فَريقٍ) (الحَوْزَةُ النَّاحيةُ)و(الحَيِّزُ المَكَانُ) 2 . وردت كلمة" التحيّز "في القرآن الكريم بصيغة اسم الفاعل، بمعنى المائل إلى غيره، المنظم إليه .يقول الله تعالى:﴿وَمَن يُوَلِّهِم يَومَئِذٍ دُبُرَهُ إلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَو مُتَحَيِّزًا إلَى فِئَةٍ فَقَد بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّه وَمَأوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئسَ المَصِيرُ ﴾ الأنفال(. 16) .

ب ـ اصطلاحا :

يدل مصطلح التحيّز ، وما يشتق منه، مثل" :الحَيِّز "و"المُتَحَيِّز"، في كتب الحدود، وموسوعات المفاهيم الفنية والعلمية العربية القديمة، على المكان، يقول محمد بن علي التَّهَانَوي(ت بعد 1158 هـ)في تعريف التحيّز" :التحيز :هو الحصول في المكان هذا وإن كان في نفسه صحيحا باعتبارات ردف الحيز والمكان، لكن أولى أن يفسّر بالحصول في الحيز

1 ـ ابن منظور ،لسان العرب، دار صادر، بيروت،(د.ت)، مادة(حوز .)

2 ـ إبراهيم أنيس وآخرون،المعجم الوسيط، دار الفكر، دمشق،(د.ت)، الجزء الأول ، مادة(حاز)، ص206 .

لكونه صحيحا مطلقا سواء اعتبر ترادفهما أم لا 1 .ويعرف عبد الوهاب المسيري التحيّز بقوله" :ثمة إحساس غامر لدى الكثير من العلماء العرب بأن المناهج التي يتم استخدامها في الوقت الحاضر في العلوم العربية الإنسانية ليست محايدة تماما؛ بل ويرون أنّها تعبّر عن مجموعة من القيم التي تحدّد مجال الرؤية ومسار البحث، وتقرّر مسبقا كثيرا من النتائج .وهذا ما نطلق عليه اصطلاحا " التحيّز " أي وجود مجموعة من القيم الكامنة المستترة في النماذج المعرفية والوسائل والمناهج البحثية التي توجّه الباحث دون أن يشعر بها وإن شعر بها وجدها لصيقة بالمنهج لدرجة يصعب معها التخلص منها 2 ،أمّا ميجان الرويلي وسعد البازعي فيعرفان التحيّز بقولهما" :والمقصود بالتحيّز هنا ارتباط الثقافة ومنتجاتها بالخصائص المميزة لتلك الثقافة، وبالظروف الزمانية والمكانية التي حكمت تشكّل تلك الثقافة ومنتجاتها في مرحلة معينة .كما أنّ من المقصود بلوغ التحيز حدا يجعل من الصعب فهم تلك الثقافة دون الوعي بجوانب تحيزها لنفسها ولظروفها المكانية والزمانية، بالإضافة إلى ما يخلقه من عوائق أمام نقل تلك الثقافة ومنتجاتها إلى حيز ثقافي آخر دونما غربلة لبعض السمات الأساسية تخلّصها من ذلك التحيز ،أو الخصوصية أو تقلّل من معدلهما3 يؤكّد البازعي أنّ خصوصية المناهج والنظريات والمفاهيم النقدية الغربية مزدوجة :خصوصية الحضارة الغربية باعتبارها كلا ينتمي إليه مبدعو هذه النظريات والمناهج والمفاهيم،ويشكّل منطلقهم ومرجعيتهم، وخصوصية الأفراد أنفسهم، منتجي هذه النظريات والمناهج .يقول: "الخصوصية التي نتحدث عنها في سياق هذه لملاحظات، خصوصية المناهج والنظريات والمفاهيم النقدية الأدبية التي أنتجتها الحضارة الغربية، ظاهرة تنبع من تلك الخصوصية الضيّقة، خصوصية الأفراد منتجي النظريات والمؤثّرين فيها، مثلما تنبع من الخصوصية الأكبر، أي خصوصية الحضارة ككل التي انطلق

1 . محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق :علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، 1996.

2 . عبد الوهاب المسيري، فقه التحيز(المقدمة) ،ضمن كتاب إشكالية التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثالثة ، الولايات المتحدة الأمريكية 1998م ، ص 19. 20 .

3 . إبراهيم مدكور، معجم العلوم الاجتماعية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،1975 ،ص130 .

منها وعاد إليها كثير من النتاج الفكري الغربي انطلاقا ممّا تعلنه عناوين الكتب، وصولا إلى الدراسات المتخصّصة المعمّقة سواء في الفلسفة أو التاريخ أو الاجتماع **1**. يشير إبراهيم بيومي غانم، في سياق تحديده للتحيّز في العلوم الاجتماعية،"إلى أن الإنسان لا يملك إلا أن يكون متحيزا ، وذلك بحكم عوامل متعدّدة مثل التاريخ، والدين، فموضوع التحيز يكاد يشمل التراث، والوضع الطبقي، والمناخ الثقافي، ومن ثم كل مجال للإنسانية فيه رؤية ورأي، أو نظر وموقف، وخاصة في مجال العلوم الإنسانية على اختلاف فروعها، إذ هو أي التحيّز لصيق بها ويستيقنه كل باحث وعالم في قرارة نفسه، ولا ينفي وجوده أن ينكره البعض بدعوى الحياد.**2**

بهذا المفهوم، فإنّ المناهج، مهما اختلفت مجالاتها المعرفية، وخصوصا في مجال العلوم الإنسانية،فإنها تمثّل منظومة متكاملة تشمل الأدوات الإجرائية، والرؤية المعرفية المؤطّرة لها .وعليه، فهي متعدّدة تعدّد أنماط المعرفة، كما أنها نسبية و عرضة للتغير والتطور المستمرين، وبذلك فهي لا تقبل صفة الإطلاقية والشمولية، لأنّها ليست متعالية على الخصوصيات التاريخية والحضارية التي أوجدتها. الأمر الذي يعني أن كفاءتها الإجرائية محدّدة بالزمان والمكان. بل إن عبد الوهاب المسيري يذهب إلى أبعد من ذلك، حين يؤكّد أن كل شيء في حياة الإنسان من حركات وأفعال وسلوكيات وكلمات وحوادث وإشارات وغيرها له دلالة، وأنّ كل ما هو إنساني" له بعد ثقافي وحضاري وتعبير عن نموذج **3**والنموذج المعرفي هو تلك الصورة العقلية المجرّدة، أو تلك الرؤية الكلية التي تحدّد للإنسان مجال رؤيته لذاته وللكون المحيط به وتوجّهها ولذلك، فهي" تشكل ما ينظر الإنسان من خلاله للواقع ويمكن تسميته خريطة معرفية **4**. فرغم تعدد المرجعيات، وعدم إمكانية الحديث عن مرجعية واحدة كامنة خلف كل النماذج المعرفية، فإنّ الإنسان بحكم

1 . سعد البازعي،استقبال الآخر، الغرب في النقد العربي الحديث،ص 46 .

2 . إبراهيم بيومي غانم،إشكالية التحيّز في فكر أربعة مفكرين مصريين(جلال أمين عبد الوهاب المسيري، طارق البشري، سيد دسوقي)، في كتاب " إشكالية التحيز"، محور: إدراك التحيز في الفكر العربي الحديث، ص.41 ـ 42.

3 . عبد الوهاب المسيري، العالم من منظور غربي، كتاب الهلال، دار الهلال، ع 602 ، مصر 2001، ص 8 .

4 . المرجع نفسه، ص. 15

فطرته يؤمن بمرجعية واحدة، أمّا الذي يؤمن بمرجعيات مختلفة، وأحيانا متناقضة، فهو إنسان مصاب بالفصام، إذ كيف يصح الإيمان بمرجعية دينية وأخرى علمانية في ذات الوقت **1** . فالتحيز إذن يصل إلى حدود ما يقوم عليه المنهج النقدي من خلفيات ذات طبيعة إيديولوجية أو دينية أو حضارية ينعكس أثرها على أدوات الممارسة التحليلية.

بعبارة أخرى المنهج النقدي ليس فقط أدوات إجرائية تؤدي وظائف قيادة خطوات التحليل فحسب، بل إنّه ممارسة ثقافية تحمل معها مرجعيتها، ولا تنفع دعوى الموضوعية في إنكار هذه المرجعية ونفي أثرها على الأدوات، فالمرجعيات عبارة عن سلط فكرية تتمركز حول نفسها وتُخضع لها الآخر الذي يعتنق مرجعيات مختلفة لم تجد لها أسباب الانتشار، ولأن النقد ينشغل بالأفكار والرؤى والتصورات فمن الطبيعي أن يكون محلا لصياغة خطاب التدافع الحضاري. يرى "ميشيل فوكو" في كتابه "نظام الخطاب" أنّ الخطاب هو ما نصارع من أجله، وما نصارع به، وهو السلطة التي نحاول الاستيلاء عليها. ومن بين السلط التي يمكن أن ينطوي عليها الخطاب النقدي تمرير القيم والعقائد والفلسفات بطريقة ضمنية، فمن بين استراتيجيات الخطاب، التضمين وعدم التصريح، ولهذا السبب يتم استعمال مصطلحات السلطة والعنف والإخضاع، فالقارئ العادي يتعامل مع ظاهر الخطاب ويغفل عن باطنه بما يحمله من ثقل إيديولوجي، وبذلك يكون مستعدا لتقبل عنف التوجيه والتأثير والحشو بطريقة غير واعية. يرى الباحث المغربي علي صدّيقي أنّ بعض الباحثين العرب، يُضْفُون على المناهج النقدية الغربية صفات العالمية والعِلمية و الإطلاقية وهذه الصفات لا تخلو من الإيهام والتلفيق لأنّ المنهج النقدي إنتاج إنساني يسري عليه قانون التأثّر، مثله مثل باقي الإنتاجات الفكرية، ويخضع أثناء تكوُّنه لمؤثرات الأصول الفكرية السائدة في بيئته الثقافية.

1 . عبد الوهاب المسيري، العقل الإسلامي بين الأنا والآخر"، مجلة الوعي المعاصر، مؤسسة الفلاح- للنشر والتوزيع، لبنان، السنة الثانية ، عدد 2001 6 / 7 ، ص 38.

2.3 الخطاب النقدي المغاربي المعاصروإشكالية التحيّز:

النقد المغاربي والعربي المعاصر لا يخلوان من إشكالية التحيز. ولا شك أن أهم تحيز يميز تجربة هذا النقد يتلخص في تأثره الواعي أو اللاواعي بالنقد الغربي، لكن المشكلة الأساس تكمن في وجود من ينكر إمكانية حصول آثار سلبية يفرزها هذا التأثر، بدعوى أن المناهج الغربية "تتجاوز سياقاتها التاريخية، وتتعالى على خصوصياتها وتحيزاتها الحضارية، وتتصف بالإطلاق والحياد والموضوعية ولا تحتاج إلى أكثر من تمثلها تمثلا صحيحا، واستيعابها استيعابا دقيقا يمكّننا من توظيفها، في سياقنا الثقافي الراهن توظيفا سليما. يعقب الباحث المغربي علي صدّيقي على هذا الرأي بتمحيص عناصره تمحيصا دقيقا، فالعلم كما ينقل عن الباحث المهدي المنجرة، نسق ثقافي لا يمكن فهمه خارج سياقه الثقافي الذي نشأ فيه، والمناهج لها وضع خاص يجعلها ترفع من منسوب إيمانها بالنسبية، فهي تنتمي إلى مجال العلوم الإنسانية حيث تتفاعل الآراء ويتجاوز بعضها بعضا وتحضر الذاتية حضورا مكثفا ومؤثّرا، بل إنّ العلوم التجريبية ذاتها لا تقوى على ادعاء الموضوعية التامة، لأن تاريخها حافل بالأخطاء والاستدراكات التي يقوم بها العلماء على إنجازات أسلافهم. يسائل الباحث المغربي علي صدّيقي دعوى التأصيل بوصفها حلا بإمكانه أن يحُد من تحيز النقد العربي لنظيره الغربي عبر توطين المفاهيم والمناهج المستوردة في البيئة الثقافية العربية، فيخلص إلى أن أكثر الباحثين الذين انخرطوا في هذا المشروع لم يتجاوزوا مأزق التحيّز، ذلك أن الانطلاق من المبادئ النقدية الغربية ظل مبدأ ثابتا لديهم، وانفتاحهم على التراث العربي القديم كان من أجل توفير الشاهد الذي يقبله القارئ العربي، في نظرهم، ليقتنع بأهمية الطروحات النقدية الغربية، وكفى شاهدا في هذا السياق موقف الذين يدّعون أنّ ما جاء به "دي سوسير" سبق إليه عبد القاهر الجرجاني في كتابيه "أسرار البلاغة، و دلائل الإعجاز" لنفهم كيف يُقرأ التراث من أجل دعم الاكتشافات الغربية ومنحها الشرعية والمشروعية.

إذا كان الانفتاح على الآخر مسألة مشروعة، حيث لا يمكن تصور بناء المعرفة الحقّة إلا به، فإنّه لا بد من ضبط علاقتنا بالآخر و ثقافة ، للحماية من زلل الانحراف والزيغان عن قيمنا و ثقافتنا ومرجعياتنا، فالمعرفة ليست مطلقة، و يمكن الاجتهاد فيها عبر

المساءلة النقدية بالإضافة أو التعديل ، و المعرفة يجب أن تنفتح على جميع ما تجود به عقول الشعوب وقرائحها، فمن غير المستساغ أن نمارس الإقصاء باسم العلوم، عبر الزعم بأنّ الحضارة الغربية لها صفة المركز،وما عداها فهو هوامش تتبع ذلك المركز. والنقد العربي المعاصر بوصفه مجموعة من الأفكار والرؤى والتصورات التي تستند على مبادئ وأسس معرفية وإيديولوجية ، تتجسّد في المنجز النقدي العربي المعاصر ، و النقد العربي أهم ما يلاحظ عليه أنّه ما زال يبحث عن هويته وهو أمر غير معلن في المتن النقدي العربي المعاصر، لكن يمكن اكتشافه و تقفي آثاره ، ثم إنّ الخطاب النقدي – بوصفه حقلا معرفيا- يمثّل مجموعة كبيرة من الممارسات النقدية والأحكام النسبية التي تتجلى بحسب الزمان والمكان وثقافة المجتمع وآراء النقاد.

3.3 الخطاب النقدي وحتمية وعي الذات:

الخطاب النقدي العربي ومنه المغاربي بحاجة إلى وعي ذاته، من خلال اعتماد استراتيجية تُفكّر في اختياراته المنهجية وآلياته المعرفية، وتعيد النظر في مسلماته التصورية والنظرية. فهو في سيرورة تشكّله واشتغاله مطالب بمساءلة مفاهيمه ووظائفه، وإعادة النظر في مسلماته وتصوراته، أي إعادة النظر "في ما ينتج تعاليه". فهو إذن مطالب بتجاوز العوائق المعرفية بتفعيل وتحيين استراتيجياته وإعادة النظر في مساراته وأدواته ،وإنّ المتأمّل للمشهد النقدي العربي المعاصر يدرك وجود حاجة معرفية ملحّة، تفرض ضرورة مراجعة شاملة للخطاب النقدي العربي وتكمن هذه الضرورة في المعطيات التالية:

ـ فحص ما أُنجز من مشاريع نقدية وإعادة تنظيمها، لتقييم فعاليتها ومعرفة حدودها، حتى نتمكن من تنظيم مسار هذا التراكم واستكشاف تحولاته وعوائقه. وتكمن أهمية هذه القراءة في كونها تخدم تواصل المعرفة في سيرورة انتقالاتها، وتساهم في تشكيل وعي ابستيمولوجي وتاريخي للخطاب النقدي.

ـ التأثير الجوهري للمثاقفة في الخطاب النقدي العربي المعاصر. فهو يمثل عنصرا تكوينيا في بنية هذا الخطاب سواء من حيث المفاهيم أو المناهج، بل انتقل أحيانا إلى التأثير في الرؤية التي تحكم هذا الخطاب وتحدّد علاقة الذات بالآخر. وبالتالي ضرورة إعادة النظر في دور هذه المثاقفة وأساليب ممارستها، وتقييم حصيلة التفاعل، بوضع آليات تضبط عملية

انتقال المفاهيم والنظريات، من أجل صياغة تفاعل إيجابي يساهم في الإنتاج ولا يكتفي بالتلقي السلبي. بل وجب التحلي بوعي نقدي رصين بعبارة أخرى حتمية التجاوز المستمر للوعي التلقائي بالذات. حيث يشكل هذا الوعي النقدي شرطا ضروريا كي لتمكين الخطاب النقدي المغاربي و العربي من تخطي عتبة الاستهلاك والتلقي السلبي واقتحام دائرة الإبداع والإنتاج، حتى لا تتحول المثاقفة إلى "خطاب تمويهي يُمكّن الوجدان العربي من تقبل وتضمين ما أنجزه غير العرب "1. ولن يؤتى هذا الوعي النقدي ثماره إلا بمأسسة وسائل المثاقفة وبنياتها المعرفية المتخصّصة التي تتحكم في تنظيم وتدبير عملية التبادل الثقافي، حسب الرهانات المعرفية والحاجيات الاجتماعية. إنّ التشريح الابستيمولوجي للخطاب النقدي المغاربي والعربي عموما، تبرّره الحاجة المعرفية إلى ضرورة وعي النقد لذاته وخطابه "لأنّه دافعه إلى التساؤل حول نفسه، أي حول مناهجه وأهدافه، والأهم من ذلك حول جوهره، والجوهر هو التساؤل الدائم، وبذلك فقط يستحق النقد الأدبي أن يقال عنه أنه في موضع التساؤل"2

4.3 مآزق الخطاب النقدي المغاربي المعاصروإشكالاته:

يمكن القول إن الخطاب النقدي المغاربي العربي المعاصر يعيش أزمة و يعاني إشكالات معرفية وثقافية ، متعدّدة من أبرزها: صيرورة الخطاب النقدي العربي المعاصر إلى تكتلات تراتبية، لمجموعة من المقولات الغربية، التي لا تمتلك الفحص الدقيق لمناسبتها، أو عدم مناسبتها للنص العربي و واقعه . الانبهار المعرفي بآفاق النقد الغربي ومعطياته والتسليم بجميع النبرات التي تصدر عنه،أيضا تقمّص المناهج النقدية الحديثة ، وتفريغ محتوياتها في الدرس النقدي والتحليلي للنصوص العربية التراثية والحديثة، بحجة أن النصوص العربية ما زالت بِكراً لم تُكتشف جمالياتها بعد . استقبال معطيات النقد الغربي الحديث المتمثل بمناهجه المتعدّدة دون النظر إلى الخلفيات الفلسفية ، و المرجعيات اللاّهوتية، و التميّز الحضاري والثقافي، و السلوك المتطرف المسُيطر عليها، والخطر الأكبر

1 ـ عبد الله العروي، الإيدولوجيا العربية المعاصرة،المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ،1995 ،ص 254.

2 ـ جماعي، النقد الأدبي، ترجمة هدى وصفي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 1989،ص 145.

يتمثل في قراءة النص المقدس (القرآن الكريم) بآليات لا تفحص برؤية علمية دقيقة وحذرة، كذلك عدم الثقة بالموروث النقدي العربي الأصيل ، و الذي صرف جل النقاد العرب المحدثين عن الماضي الزاخر ، إلى الحاضر الغربي المُتمركز حول نفسه . إنّ الأقلَمَة المفتعلة التي اصطبغت بها بحوث النقد العربي وأسهمت بشكل كبير في تقديم مواقف مُدجّنَة قيّدت الفكر العربي بمحدودية المكان . وقد أكّدَ بعض النقاد العرب معاناة النقد العربي الحديث ، حيث يذكر عبد العزيز حمودة أنَ الناقد العربي يعيش شرخاً ثقافياً ، نتيجة ثنائية: الانبهار بمنجزات النقد الغربي ، واستصغار المنجز العربي ، ويُبيّن أنَّ الحداثة العربية كانت نتيجة لهذا الانبهار لا سبباً له ، ويذكر أنَّ المعادلة أصبحت تتحول من التأثّر بالآخر إلى الاندماج فيه**1** ، ويضيف قائلا: " إنَ الحداثيين العرب أضافوا إلى سوء الفهم والتشويه غُربة المفاهيم المستوردة ومصطلحها النقدي، أي أنَ الفكر الحداثي العربي في حقيقة الأمر وُلِد محكوماً عليه بالغربة"**2** ، فضلاً عن أنَ القطيعة المعرفية مع التراث ولَّدت فجوة وفراغاً، وجاء الفكر الغربي بوصفه البديل لملء ذلك الفراغ **3** . ويشير حمودة في موضع آخر إلى أنَ المعطى النقدي الغربي وحداثته هو نتاج بيئته، وهو حاصل ارتقاء مجموعة أفكار ساعدت في نشوء ذلك النقد، وذلك الفكر وهو بالطبع لا يناسب النصوص العربية، ونقدها **4** ، أمّا سعد البازعي فيذكر أنَ مناهج النقد الأدبي في الغرب متحيّزة في جوهرها للأنساق الحضارية التي نشأت فيها، وأنَ الناقد العربي أمامه طريقان الأول تطبيق تلك المناهج مع مضامينها ، وتوجّهاتها الفكرية والمعرفية،والثاني إحداث تغيير جوهري في هذا المنهج أو ذاك والنتيجة اختلاف المنهج المُعدَّل عن المنهج الأصل، ويؤكّد في ذات الإطار أن القول بتحيّز مناهج النقد الغربي هو قول بتحيّز المناهج النقدية كلها، ونحن في حاجة ماسة إلى الموروث الفكري والنقدي العربي، لتعزيز الموقف النقدي العربي المعاصر .

1ـ عبد العزيز حمودة،المرايا المقعرة ،نحو نظرية نقدية عربية، سلسلة عالم المعرفة،عدد 272 ،ص31 – 32 .

2 ـ عبد العزيز حمودة،المرايا المقعرة ، ص 190 .

3 ـ المرجع نفسه ، ص195 .

4 ـ عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة ،سلسلة عالم المعرفة،عدد 232، 1998 ،ص 10 .

5.3 الخطاب النقدي المغاربي تحديات الو اقع وحتمية التجاوز:

الخطاب النقدي المغاربي جزء من الخطابات النقدية التي أفرزتها النهضة العربية وما ترتب عنها من تفاعل مع الآخر، ولقد أصبح هذا الخطاب مندرجا في فضاء النقد العربي ، لكن تمحورت توجّهاته حول العلاقة مع الآخر و هذا الانشغال انطلق من قلق منهجي طبع الخطاب النقدي المعاصر، وكل ما أفرزه الفكر ما بعد الحداثي وما بعد البنيوي من مستجدات، فالفكر العربي لم يكن بعيدا عن هذا القلق ، لكن تحت مسمى واحد وهو الشراكة في الحوار الثقافي مع الأخر و إنّ حالة التردي والجمود التي يعيشها راهن الوضع العربي عموما تستوجب البحث عن مشروع نقدي جديد يتم من خلاله تجاوز المراجعات النقدية، لأنّها باتت محاولات ترهق الفكر وتزيد من تأزّمه، كونه لم يكن بعيدا عن تدفّق الدراسات النقدية العالمية وهذا من أجل مسايرة التطور النقدي العالمي و تأسيس خطاب نقدي عربي أصيل، يعبّر عن ثقافة عربية فكرا و نقدا وفلسفة وإبداعا[1] . ممّا لا شك فيه أنّ الواقع الذي يعيشه الخطاب النقدي العربي المعاصر ناتج عن أزمة كبرى هي أزمة الفكر العربي وإخفاقاته على مستوى المفاهيم وعلى إيقاع هذا الوضع تتجسّد القراءات النقدية الراهنة، كما أنّه من الشائع أنّ" هنالك شبه اتفاق طوعي أو كرهي بين كافة شعوب الأرض على اختلاف حضاراتها ونظمها، بأنّه ليس هنالك ثقافة معيّنة تتميز بالعالمية، وكل ثقافة بما فيها الثقافة العربية تحاول أن تطعّم نفسها بمنتوج ثقافات أخرى، دون أن يؤدي ذلك إلى فقدان خصوصياتها.

4 ـ خاتمة:

لقد احتوى هذا البحث على مقدمة منهجية تضمنت الإشارة إلى الوضعية التي يعيشها الخطاب النقدي المغاربي المعاصر ومعه الخطاب النقدي العربي بشكل عام، ألا وهو وضع الاستلاب والتبعية للغرب، الأمر الذي أدى إلى تيه النقاد وضياع بوصلة الخطاب النقدي، ليتم من خلالها طرح الإشكال عبر تساؤلات نقدية ،كما اشتمل البحث على جملة

1 . مصطفى خضر، النقد والخطاب، محاولة قراءة في مرجعية نقدية عربية معاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001 ، ص14 .

من المباحث ،المبحث الأول: النقد المغاربي وخطابه واشتمل على مباحث جزئية: (مفهوم الخطاب، الخطاب النقدي، النقد المعاصر وأبعاده)،المبحث الثاني: الخطاب النقدي المغاربي المعاصر وحيثياته واشتمل على العناصر الآتية:(الساحة المغاربية والمشهد النقدي المعاصر، المثاقفة والمناهج النقدية المعاصرة، الحمولة الإيديولوجية للمناهج النقدية الغربية و مصطلحاتها، المبحث الثالث: المرجعيات المستعارة وإشكالية التحيز، وضم العناصر الآتية (مفهوم التحيز، إشكالية التحيز في الخطاب النقدي المغاربي المعاصر، الخطاب النقدي المغاربي المعاصر حتمية وعي الذات وضرورة التجاوز) لنصل في الأخير إلى تدوين بعض النتائج المتوصل إليها ،والتوصيات المقترحة من خلال سياق البحث و نتائجه. ولعل أبرز النتائج التي يمكن الإشارة إليها أنّ الناقد العربي المعاصر لم يهتدي بعد إلى طرائق التفكير النقدي ولم ينجح في إنتاج نظرية نقدية عربية رغم تعدّد الأصوات المنادية بتأسيس هذا المشروع. لقد أصبح النقد العربي المعاصر عموما قائما على مجرد التسليم بالمقولات النقدية الغربية حيث لا تزال مرجعيته مستعارة، وهو لا يجرؤ على مساءلتها إلا عندما تُنتقد في منابتها الغربية، وقد يعزى الجمود الفكري إلى طبيعة ذهنية الناقد العربي المعاصر التي أصبحت تؤمن بحتمية اعتماد القوالب الجاهزة والمصطلحات المستعارة، تماما كباقي السلع والبضائع المستوردة للاستهلاك. أما التوصيات فهناك جملة من الشروط لا بد من توفرها لكي تتحقّق النقلة النوعية في طريقة تفكير العقل النقدي العربي،ولعل في مقدمتها وضع استراتيجية شاملة تقوم على أسس ومرجعيات سليمة في الفكر والفلسفة والابستيمولوجيا ، مع ضرورة تجاوز مرحلة المراجعات النقدية التي لا تفتأ تقوم بإعادة الاجترار لمنجزات الفكر الغربي ومؤسساته النقدية ، وكذا الابتعاد عن التزمّت الفكري وترك الإيمان بالمقولات والأفكار الجاهزة والانتقال من مرحلة الاستهلاك إلى مرحلة الإنتاج ،مع حتمية مراعاة خصائص الأمة العربية الفطرية والطبيعية والعقائدية.لكن يبدو كاستنتاج أن الخطاب النقدي المغاربي و العربي عموما ليسا موجهين إلى القارئ العربي، وإنّما هما محاولة لإرضاء الذات التي تتوهّم بأنّها حقّقت مشروعا نقديا أو أدبياً نخبوياً يسعى لمغازلة الغرب لا غير.وفي الأخير نعيد التساؤل: هل يمكن الحديث عن مشروع نقدي عربي أصيل يضع لبناته التأسيسية على تربة فكره مستندا على مرجعياته الفكرية

والحضارية؟ وهل سيتمكن الناقد العربي من بلورة رؤية جديدة بإمكانها أن تحرّر الوضع النقدي العربي الذي يعيش التبعية ويقدم تجربة نقدية إبداعية تحقّق الهوية من جهة و تقف بالندية أمام تيارات النقد العالمي من جهة أخرى ؟ طبعا يعتمد ذلك على توفّر وعي نقدي رصين و استراتيجية شاملة تصحّح المسار و ترسم فكرة المشروع .. لقد أصبح البحث في الفكر العربي و واقعه المعاصر أمرا ملحّا وضروريا لذلك صار لزاما على كل مثقف وناقد عربي أن يحمل على عاتقه هاجس هذا الواقع، و أن يبذل قصارى الجهود من أجل المساهمة في دفع قطار النقد العربي صوب آفاق الإبداع لعله يستطيع في مرحلة ما أن يتحرر من قيد التبعية وزيغ التحيز.